منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التعليم

بقلم
الدكتور
عاطف أحمد أيمان
الأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه

بسم الله الرحمن الرحيم

✡ المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين معلم الناس الخير والهادى إلى صراط الله المستقيم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد :

فإن البشرية لم تعرف دينا مثل الإسلام ، عنى بالعلم أبلغ العناية دعوة إليه ، وترغيبا فيه ، وتعظيما لقدره ، وتنويها بأهله ، وحثا على طلبه ، وبيانا لآدابه .

ويكفى أن أول ما نزل من آيات القرآن الكريم ينوه بقدر العلم « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم »(١) .

ولأن قضية العلم من أهم القضايا التى يجب أن يهتم بها الباحثون والمصلحون . لأنها تتعلق بإعداد الأجيال لحمل أمانة الدين ، وتأهيلهم ليكونوا أهلا لتبوء مكانتهم فى هذا المجتمع الذى لا مكان فيه إلا للأقوياء لهذا وغيره آثرت أن أكتب بحثى هذا الذى قسمته إلى ثلاثة أقسام هى :

الأول : فضل العلم .

الثانى : فضل المعلم .

---

(١) سورة العلق : آية ١ — ٥

الثالث : منهج الرسول ﷺ فى التعليم .

ولقد أوجزت فى القسمين الأول والثانى اللذين اعتبرهما تمهيدا للدخول فى القسم الثالث الذى فصلت الكلام فيه باعتباره لب البحث ، مستخرجا من كنوز السنة النبوية ما يوضح هذا القسم ، وذكرت فيه أهم ما يشتمل عليه منهج الرسول ﷺ فى التعليم ، من الترحيب بالمتعلم ، والتيسير وعدم التعسير ، والتدرج فى التعليم إلى غير ذلك ...

وأستطيع أن أقول: إن سيدنا محمداً ﷺ قد انتصر - يوم أن انتصر - بتوفيق من الله ورعايته فى تعليم أصحابه ، واستطاع بمنهجه الدقيق فى التعليم ، أن يصوغ بالإسلام رجالا ، ويحوّل إيمانهم بالإسلام عملا وخلقا ، وطبع من المصحف عشرات ثم مئات وألوفا ، ولكن لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق ، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب وأطلقها تعامل الناس وتأخذ منهم وتعطى ، وتقول بالفعل ، والعمل ما هو الذى جاء به محمد بن عبد الله من عند الله .

ومن أراد أن يعرف شيئا عن تربية وتعليم الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن جاء بعدهم بإحسان فليستقرىء التاريخ ليسمع الكثير من جليل مآثرهم ، وكريم فضائلهم فهل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم ، أوأرأف أوأرحم ، أوأجل أو أعظم ، أو أرقى أو أعلم ؟!

يكفيهم شرفا وفخرا ، خلودا أن يقول القرآن العظيم فى حقهم : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ... »[1] .

ويقول : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر

(١) سورة الفتح : آية ٢٩

إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »[1] .

ويقول : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »[2] .

هذا غيض من فيض مما نزل فى كريم مآثرهم ، وجميل محامدهم وقد تحقق بهم فعلا إقامة المجتمع الفاضل ، الذى كان حلم المفكرين ، وأمنية الفلاسفة منذ القدم ، وكيف لا والقاضى يجلس بينهم سنتين لا يتخاصم إليه اثنان ؟ ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن ؟! ولماذا يتناحرون وقد رباهم وعلمهم محمد ﷺ أن يحبوا لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم .

والله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وأن يزيدنا علما .

والله الموفق ؟

* * *

دكتور : عاطف أحمد أمان
أستاذ الحديث المساعد
بكلية أصول الدين بالقاهرة

(١) سورة الحشر : آية ٩ .
(٢) سورة الأحزاب : آية ٢٣ .

✡ فضل العلم

إن طبيعة الإسلام تفرض على الأمة التى تعتنقه أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين وتهبط أو تنعدم نسبة الجاهلين ذلك أن العلم للإسلام كالحياة للإنسان . لذا كان أول ما نزل من آيات القرآن الكريم قول الله لنبيه ﷺ « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم »(١).

وهذه أول صيحة تسمو بقدر القلم ، وتنوه بقيمة العلم ، وتعلن الحرب على الأمية الغافلة ، وتجعل اللبنة الأولى فى بناء كل رجل عظيم أن يقرأ ويتعلم .

وسما الله عز وجل بدرجات العلماء حتى قرنهم بنفسه وملائكته فى الشهادة بواحدانيته والإقرار بعدالته ، فقال الله تعالى : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هـــو العزيز الحكيم »(٢) .

لذا حث الرسول ﷺ فى أحاديث كثيره على العلم ، والفقه فى الدين .

فعن معاوية رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين »(٣) .

---

(١) سورة العلق : ١ — ٥ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٨ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين ١ / ٢٧ ط الشعب ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإمارة باب قوله ﷺ « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين علـــى الحق لا يضرهم من خالفهم » ج٣ ص ١٥٢٤ حديث رقم ١٧٥ عن معاوية بن أبى سفيان

وعن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى إنى لأرى الرّى يخرج فى أظفارى ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب قالوا : فما أولته يارسول الله ؟ قال : « العلم(١) » .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها »(٢) .

وعن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدى صاحبه إلى هـــدى أو يرده عن ردى ، وما استقام دينه حتى يستقيم عمله »(٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم باب فضل العلم ١٠/ ٣١ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب العلم باب الاغتباط فى العلم والحكمة ١/ ٢٨ .

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير واللفظ له ، والصغير إلا أنه قال فيه : حتى يستقيم عقله وإسنادهما متقارب . انظر « الترغيب والترهيب » للمنذرى ١/ ٩٧ طبعة دار التراث العربى لبنان .

ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم[1] الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة[2] وغشيتهم الرحمة[3] ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه[4] .

— ومعنى الجملة الأخيرة من الحديث — والله أعلم — أن المقصّر فى حقوق الله ، والتارك العمل الصالح يحاسب حساباً عسيراً ، ويتأخر عن دخول الجنة حتى ينال عقابه ، ولم ينفعه شرفه الذى ينتسب إليه وإن عظم ، والله يعذب العاصى وإن كان شريفاً قرشياً ، ويقرّب المطيع وإن كان عبداً حبشياً .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ : فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ، ثم قال رسول الله ﷺ : «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»[5] .

عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : «يا أباذر لأن تغدو فتعلّم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم

---

(١) حفتهم الملائكة : أحاطت بهم ملائكة الرحمة .
(٢) السكينة : ظلة البهاء والوقار ، ونور الله جل جلاله .
(٣) غشيتهم الرحمة : عمتهم .
(٤) الحديث أخرجه مسلم فى كتاب الذكر والدعاء جـ ٤ حديث رقم ٣٤ طبعة عيسى الحلبى .
(٥) أخرجه الترمذى : أبواب العلم جـ ٧ : ص ٤٥٦ وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح طبعة مصطفى الحلبى .

باباً من العلم عمل به أو لم يعمل خير لك من أن تصلى ألف ركعة»[1] .

وبين الرسول ﷺ فى حديثه أن العلم النافع من الأعمال التى يلحق ثوابها المؤمن بعد موته ويأخذ عليه الأجر الدائم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته ، علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورّثه ، أومسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته يلحقه من بعد موته»[2] .

ومن الخطأ أن يظن البعض أن العلم المحمود هو دراسة الفقه والتفسير وما شابه ذلك من الفنون فحسب ، فإن علوم الكون والحياة ، ونتائج البحث المتواصل فى ملكوت السماء والأرض لا تقل خطراً عن علوم الدين المحضة .

وحسبنا أن القرآن الكريم عند ما نوّه بفضل العلم وجلال العلماء إنما عنى العلماء الذين يعرفون عظمة الخالق من عظمة الخلق ، وإنما عنى العلم الذى ينشأ من النظر فى النبات والحيوان وشئون الطبيعة الأخرى»[3] .

---

(١) أخرجه ابن ماجة : المقدمة : باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ، جـ ١ ص ٧٦ مطبعة عيسى الحلبى .
وقال المنذرى : إسناده حسن لكن فى الزوائد أنه ضعيف فيه عبد الله ابن زيادة وعلى بن زيد بن جدعان قال : وله شاهدان أخرجهما الترمذى .
(٢) أخرجه ابن ماجة فى سننه فى المقدمة : باب ثواب معلم الناس الخير جـ ١ ص ٨٨ . قال ابن المنذر : إسناده حسن .
(٣) خلق المسلم ص ٢١٨ فضيلة الشيخ محمد الغزالى بتصرف طبعة دار الكتب الإسلامية .

قال الله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور »(١) .

وقال سبحانه : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين »(٢) .

فالعلم الذى يقبل المسلم عليه ويرحل فى طلبه من أقصى المشارق والمغارب ليس علماً معيناً محدود البداية والنهاية . فكل ما يوثق صلة الإنسان بخالق هذا الوجود ، ويفتح للإنسان آماداً أبعد من الكشف والإدراك وكل ما يتيح له السيادة فى هذا العالم ، والتحكم فى قواه ، والإفادة من ذخائره المكنونة . ذلك كله علم ينبغى التطلع له ، والإقبال عليه ويجب على المسلم أن يأخذ بسهم منه .

ومن أحاديث الرسول ﷺ التى تشير إلى التزود من المعارف أيا كانت قوله ﷺ فى الحديث الذى رواه مسلم «... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة »(٣) .

« ومعنى سلك طريقا : دخل فيه ، والالتماس : هو الطلب ، والطريق

---

(١) سورة فاطر : آية ٢٧ ، و٢٨ .

(٢) سورة الروم : آية : ٢٢ .

(٣) الحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الذكر والدعاء باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر ج ٤ حديث ٣٨ وهو ضمن حديث طويل .

قد يكون حسيا ، وقد يكون معنويا ، وقد يراد به ما يشمل الحس والمعنى جميعا ، والعلم هنا هو : العلم الشرعى الذى يعرف به العبد ربه وأحكامه من حلال وحرام وأمور المعاش والمعاد ، وهو الذى يبتغى به صاحبه مرضاة ربه من حفظ كتاب الله ، ومعرفة تفسيره ، وأحكامه ، وناسخه ومنسوخة ، ومعرفة سنة رسوله ﷺ وحفظها ، والتفقه فيها وما استنبط من ذلك واتصل به ، وأعان على معرفته من الفقه وأصوله واللغة والبيان وغيرها .

فهذه العلوم هى التى تثمر للعبد المعرفة بالله ، والإيمان به ، والوقوف عند حدوده ومعرفة مراضيه ومساخطه .

— وقد يقول قائل فما بال العلوم الأخرى التى تتصل بحياة الناس فى دنياهم والتى يتوقف على معرفتها والتفوق فيها تقدم الأمم ورقيها ، وارتفاع شأنها ، وهى العلوم التى اصطلح على تسميتها بالعلوم الدينية مثل علوم الطب ، والهندسة ، والزراعة ، والكيمياء ، وعلوم طبقات الأرض وغيرها ؟

والجواب عن هذا — كما قال أستاذنا الأستاذ الدكتور العجمى دمنهورى خليفة : إنها علوم ضرورية ونافعة ، وإن الإسلام يطلبها ، ويحرص عليها ويجعلها من الفروض التى يجب على المسلمين تحصيلها ، إلا أن افتراضها ليس على كل فرد من المسلمين بل هى فرض على الجماعة كلها فرض عليها أن يكون فيها الأطباء والمهندسون والزراعيون والصناع ، وغيرهم فى سائر الفروع والتخصصات حتى يعزّ بهم الدين وتقوى بهم كلمة المسلمين .

إلا أنه ينبغى أن يتنبه المسلم أيا كان عمله ، وأيا كانت ثقافته إلى أن العلوم الشرعية هى الأساس وما لا يصح الدين — فى العقيدة والعبادة

والمعاملة — إلا بمعرفته فتعلّمه واجب وعليه قول الصادق الأمين ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم »(١).

فما دام المؤمن قد أخذ من ذلك بنصيب واف كاف شاف يصلح من قلبه ولسانه وجوارحه ، ويصحّح به عمله، ومعاملته فلاعليه بعد ذلك أن يتعلم ما شاء من العلوم ما دامت لا تعارض شيئا من حقائق الدين الثابتة.

ولايترتب على دراستها ضلال أو انحراف ، طالما كانت نافعة له ولبلده ولأمته ولدينه ، ثم عليه بعد ذلك أن يحذر من غوائلها وشرورها والاغترار بها ، والانصراف بها عن علوم الشريعة ، والتعالى بها على عباد الله »(٢).

فعلوم الحياة لاتقل خطراً عن علوم الشريعة فى خدمة الدين ، وتجلية حقائقه وإنما يرجح الرجل على صاحبه فى علمه بمقدار مايسخّر هذا العلم لنفع الناس ابتغاء وجه الله وانتظار مالديه من مثوبة.

ولما كان ضيق الأفق لايدع للإيمان امتدادا ، ولا للإحسان منفذا قال الله عز وجل : « وتلك الأمثال نضربها للنـــاس ومايعقلها إلا العالمون »(٣).

---

(١) رواه ابن ماجة وغيره من طريق فيها مقال ، قال العراقى : قد صحح بعض الأمة بعض طرقه ، وقال المزى : روى من طرق تبلغ رتبة الحسن ، أنظر كشف الخفا ٥٦/٢ للعجلونى . مكتبة التراث الإسلامى بحلب.

(٢) انظر كتاب «اللباب فى البر والصلة والآداب» لأستاذنا الأستاذ الدكتور/ العجمى دمنهورى خليفة ص ١٦٦ — ١٦٩ بتصرف طبعة . دار الطباعة المحمدية .

(٣) العنكبوت : آية ٤٣

وبيّن الله فى كتابه أن الضمير الدافع إلى الخير ، الذى يبعد الإنسان عن الشر ، المراقب له سبحانه ، الحريص على مرضاته ، هو ضمير العالم المستنير الخبير بربه فقال سبحانه : « أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب»(١).

إن التعلم والتعليم روح هذا الإسلام ، ولا بقاء لجوهره ، ولا كفالة لمستقبله إلا بهما .

والناس فى نظر الإسلام أحد رجلين :

إما متعلمٌ يطلب الرشد .

وإما عالم يطلب المزيد ، وليس بعد ذلك من يؤبه له .

عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« عليكم بهذا العلم قبل أن يقبض ، وقبضه أن يرفع » وجمع ﷺ بين إصبعيه الوسطى والتى تلى الابهام هكذا ثم قال: « العالم والمتعلم شريكان فى الأجر ولاخير فى سائر الناس »(٢).

وقال الإمام على رضى الله عنه : « العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالإنفاق»(٣).

---

(١) الزمر : آية ٩.

(٢) أخرجه ابن ماجة فى سننه فى المقدمة ٨٣/١ فى الزوائد فى إسناده على بن يزيد وهو ضعيف .

(٣) انظر «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الإمام أبى حامد الغزالى ٨/١ طبعة عيسى الحلبى .

✡ فضل المعلم

إن المعلم هو العنصر الفعّال فى عملية التعليم ، فعلى قدر ما يحمل فى قلبه من إيمان برسالته ومحبته لتلاميذه ، وما يحمل فى رأسه من علم وفكر ، وما أوتى من موهبة وخبرة فى حسن طريقة التعليم يكون نجاحه وأثره فى أبنائه وطلابه .

وكثيراً ما كان المعلمّ الصالح عوضا عن ضعف المنهج ، وضعف الكتاب وكثيراً ما كان هو المنهج والكتاب معاً لاسيما إذا كان المنهج فى صورته العلمية الأصيلة ، والكتاب الذى تتضمنه له مصادره ومراجعه العلمية التى يرجع إليها المعلم .

إن المعلمّ الصالح يقوم مقام رسول الله ﷺ فى هداية الخلق إلى الحق وتعليمهم ما ينفعهم فى أولاهم وأخراهم خاصة إذا كان قدوة لطلابه يعلمهم بخلقه وسلوكه قبل أن يعلمّهم بكلامه أو كتبه .

ومن هنا كانت عناية النبى ﷺ بالمعلمّ ، وتنويهه برسالته وما لها من عند الله ، وعنـــد المخلوقات كلها ، فهو مشغول بمهمته ، وهى مشغولة بالاستغفار له .

عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على مُعلمّ الناس الخير »(١) .

وأى فضل أعظم أن تشتغل هذه المخلوقات المبرأة من الذنوب فى السماء والأرض بالصلاة والدعاء لمن يعلم الناس الخير ؟ !

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه فى كتاب العلم برقم ٢٨٢٥ وقال الترمذى فى هذا حديث حسن غريب صحيح .

ويكفى المعلم فضلا أن له أجرا بمقدار من ينتفع بعلمه ، ويهتدى به من الناس ، قربوا أو بعدوا ، قلوا أو كثروا .

يقول ﷺ : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتّبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »(١) .

وإذا كان ﷺ يقول : « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم »(٢) فكيف بمن هدى الله به أفرادا وجماعات يؤجر كلما أجروا ؟ !

وروى عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « مثل ما بعثنى الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى إنما هى قيعان ، لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه فى دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلمّ ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به »(٣) .

« والحديث يشبّه علم النبوة بالغيث ، بجامع الإحياء فى كل منهما .

---

(١) رواه مسلم ١٠٦/٤ عن أبى هريرة ط عيسى الحلبى ، وأبو داود والترمذى من حديث أبى مسعود البدرى . ترغيب ١٩٤

(٢) رواه البخارى عن سهل بن سعد ١٤٤/٦ كتاب الجهاد باب فضل من أسلم على يديه رجل .

(٣) رواه البخارى من حديث أبى موسى فى صحيحه ٢٠/١ كتاب العلم باب فضل من علم وعلم طبعة الشعب .

فالغيث يحيي الأرض بعد موتها ، والعلم يحيي العقول والقلوب بعد جهلها .

وشأن الناس مع العلم والهدى كشأن الأرض مع الغيث والمطر .

فهناك أرض طيبة تشرب الماء فتحيا به ، وتنبت الكلأ والعشب الكثير ويشبهها من حملة العلم من جمعوا بين الرواية والدراية من العلماء والدعاة المعلمين فهم ينتفعون وينفعون .

وهناك أرض تحفظ الماء ، كأنما هي أحواض مبنية لمنع الماء أن يتسرب ويذهب سدى ، فهي تمسكه ليشرب منه من يشرب ، أو يسقي ويزرع ويشبهها من أهل العلم الرواة الحفظة النقلة ، الذين يحملون العلم لغيرهم ، وإن لم يكن لهم فيه كبير فهم أو استنباط .

وأرض ثالثة سبخة رديئة ، لا تنتفع بالماء لنفسها ولا تمسكه لغيرها .

ويشبهها أولئك الذين أعرضوا عن العلم والهدى فلا ينتفعون ولا ينفعون ولا يحفظون ولا يفهمون ، فلا هم في أهل الرواية ولا في أهل الدراية » .

فالعالم العامل هو وارث النبوة حقا ، وكان السلف الصالح إنما يسمّون الرجل ربانيا ، إذا علم وعمل بعلمه ، وعلّم غيره إشارة إلى قول الله تعالى : « ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »[1]

وجاء في الحديث أن الصدقة بتعليم العلم أفضل من الصدقة بإيتاء المال فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : أفضل الصدقة أن يتعلم

---

(١) سورة آل عمران : ٧٩ .

المرء علما ثم يعلّمه أخاه المسلم »[1] .

ويكفي المعلّم شرفا وفضلا أن رسول الله ﷺ وخيرته من خلقه سمى نفسه « معلّما » فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده : أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون الفقه ويعلّمونه ، قال : كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه ، فإن شاء أعطاهم ، وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ويعلّمون الجاهل ، فهؤلاء أفضل وإنما بعثت معلّما ، ثم جلس فيهم »[2] .

وقد ضعف سند هذا الحديث ، ولكن يشهد له الحديث الصحيح الذي رواه مسلم « إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلما ميسرا »[3] ؟

بل يشهد له القرآن ذاته فقد وصف الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام في أربع آيات[4] بأن وظيفته الأساسية أن يعلم أمته الكتاب والحكمة .

---

(١) رواه ابن ماجة بإسناد حسن ٨٩/١ في المقدمة قال الترمذي في الترغيب إسناده حسن «ترغيب» ج ٩٨/١

(٢) أخرجه الدارمي ج ٧٤/١ بتحقيق السيد عبد الله هاشم يماني — وأبو داود الطيالسي ٣٦/١ والبغوي ٢٧٤/١-٢٧٤ وفي إسناده عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم الافريقي وهو ضعيف وأخرج ابن ماجة في سننه نحوه ٨٣/١ .

(٣) رواه مسلم في كتاب الطلاق في صحيحه حديث رقم ١٤٧٨ ، ورواه أيضا أحمد والنسائي .

(٤) سورة البقرة آية ١٢٩ ، ١٥١ ، وسورة آل عمران آية : ١٦٤ ، وسورة الجمعة آية ٢ .

وقال الإمام على رضى الله عنه : العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم فى الإسلام ثلمة [1] لا يسدها إلا خلف منه

وقال رضى الله عنه نظما[2] :

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء.
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء.
ففز بعلم تعش حياً به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء.

• • •

(١) الثلمة : بضم الثاء وسكون اللام : الخلل فى الحائط وغيره ، مختار الصحاح، ص ٨٦ ط دار مكتبة الهلال بيروت .

(٢) القول المأثور ، والنظم فى إحياء علوم الدين ١/٨ ط عيسى الحلبى

☆ منهج الرسول ﷺ فى التعليم

إن رسول الله ﷺ كان ينزل عليه الوحى ويأمره أن يبلغ ما أنزل إليه من ربه ، ويأمره سبحانه أن يبين ذلك ، فكان رسول الله ﷺ يبلغ كتاب الله ، ويبين أحكامه ، ويفصل تعاليم الإسلام .

وقد اتخذ الرسول ﷺ منهجا حكيما فى تعليم أصحابه ، وكان هذا المنهج أنموذجا فريدا للمعلم الناجح .

وكان هذا المنهج أيضا كفيلا بأن يحقق ما كان يريده الرسول ﷺ من تعليم أصحابه ، وتربيتهم ، وتطبيق أحكام الشريعة وتثبيت تلك الأحكام والتعاليم فى نفوسهم .

وبالتأمل فى هذا المنهج الحكيم نجده يشتمل على عدة أمور أهمها ما يلى :

١ — الترحيب بالمتعلم :

فإذا أحسن المعلم فى البداية استقبال المتعلم ، ورحب به ، وبش فى وجهه ، وأظهر له البشر والابتهاج ، فإن هذا يزيل عن المتعلم الوحشة ، وتحل من نفسه عقدة الخوف من المعلم ، والرهبة من العلم .

ويوثق العلاقة بينه وبينه، ويلقى فى قلب المتعلم الحب للمعلم ، ويكون لهذا أكبر الأثر فى إقبال المتعلم على ما يلقيه معلمه من علم أو رغبة عنه وعدم إقبال عليه .

وهذا ما كان يفعله النبى ﷺ ، فعن صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه قال: أتيت النبى ﷺ وهو فى المسجد متكىء على برد أحمر ، فقلت

له : يا رسول الله إنى جئت أطلب العلم فقال : مرحبا بطالب العلم ، إن طالب العلم تحفة الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب »[1] .

وهكذا كان موقف صفوان ممن يجيئه يطلب منه العلم ويسمع الحديث فهو يرحب به ، ويبشره بما بشره من قبل النبى ﷺ .

وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « سيأتيكم أقوام يطلبون العلم ، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم : مرحبا بوصية رسول الله ﷺ وأفتوهم[2] وفى رواية « وأقنوهم » أرضوهم وأعينوهم .

ولقد اقتدى الصحابة رضى الله عنهم ، ومن بعدهم بالرسول ﷺ فى وصيته بالترحيب بالمتعلمين ، وتكريمهم ، وإعانتهم أدبياً ومادياً حتى يقبلوا على العلم ، ويستمروا فى طلبه ، فكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : — إذا رأى الشباب يطلبون العلم — مرحبا بينابيع الحكمة ومصابيح الظلم ، خلقان الثياب ، جدد القلوب ، حبس البيوت ، ريحان كل قبيلة »[3] .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده ٤/٢٤٠، ٢٤١ ط بيروت ، ورواه الطبرانى باسناد جيد واللفظ له وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد أنظر «ترغيب» حديث ١٠٨

(٢) رواه ابن ماجة ١/٩٠ ، والديلمى حديث رقم ٣٤٥٥ ، ورمز السيوطى لحسنه فى الجامع الصغير . انظر «فيض القدير» للمناوى حـ ٤ حديث ٤٧٣٣ طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر .

(٣) أنظر : جامع بيان العلم وفضله جـ ١ ص ١٣ لابن عبد البر نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

١ — مخاطبة الناس على قدر عقولهم :

كان النبى ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم ، فإن الكلام الذى لا يبلغ عقول السامعين ولا يفهمونه قد يكون فتنة لهم فيأتى بغير المقصود منه .

« لقد كان النبى ﷺ يخاطب حضوره بما يدركونه ، فيعلم البدوى الجافى ويفهمه بما يناسب جفاءه وقسوته ، ويعلم الحضرى ويفهمه بما يلائم حياته وبيئته ، كما أنه كان يراعى تفاوت المدارك ، وانتباه أصحابه، وقدرهم الفطرية والمكتسبة فتكفى منه الإشارة إلى الذكى »[1] .

وهذا هو موقف المربى الحق ، والمعلم المرشد من طلابه وأصحابه كل واحد منهم يخاطبه على قدر فهمه . فلا يكلف الذكى مايكلفه الغبى ، ولا يكلم الصغير بما يكلم الكبير . ولا يعطى العوام مايعطيه للخواص ، ولا يخاطب الفتاة بما يخاطب به الفتى ، بل يعطى لكل متكلم على قدر فهمه وقدرته .

ومن العجز بل الإثم أن يبث المعلم كل ما عنده لكل من يجده دون تمييز بين من يفهم ومن لا يفهم وفى الحديث : « كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع »[2] .

وهذا ما حذر منه علماء الصحابة رضوان الله عليهم وهم الذين خالطوا

---

(١) السنة قبل التدوين ص ٤٩ للدكتور/ محمد عجاج الخطيب طبعة مكتبة وهبة .

(٢) رواه مسلم فى مقدمة الصحيح من حديث أبى هريرة باب النهى عن الحديث بكل ما سمع ١/١٠

رسول الله ﷺ يقول الإمام على : « حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله »[٣] .

يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة »[١] .

وقد ذكر الإمام الغزالى فى « إحيائه » أن من وظائف المعلم أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفّره ، أو يخبط عليه عقله ، اقتداء بسيد البشر ﷺ ، ولا يبث إليه الحقيقة إلا إذا علم أنه يستقل بفهمها ، وقد قال الإمام على رضى الله عنه وأشار إلى صدره : إن هنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة ! فلا ينبغى أن يفشى المعالم كل ما يعلم إلى كل أحد . وهذا إذا كان يفهمه المتعلم ، ولم يكن أهلا للانتفاع به ، فكيف فيما لا يفهمه ؟!..

ولذلك قيل : كل لكل عبد بمعيار عقله ، وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك ، وإلا وقع الانكار لتفاوت المعيار .

وقد قال تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم »[١] تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى . وليس الظلم فى إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم فى منع المستحق[٣] .

ويقول الإمام الغزالى أيضا : أن المتعلم القاصر ينبغى أن يلقى إليه الجلى اللائق به ، ولا يذكر له : أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه ،

(١) رواه البخارى فى الصحيح — كتاب العلم : باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهة ألا يفهموا ١/٤٤ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه فى المقدمة باب النهى عن الحديث بكل ما سمع ١/١٠ عن أبى هريرة .

(٣) سورة النساء : آية ٥ .

(٤) الإحياء جـ ١ / ٥٧، ٥٨ طبعة عيسى الحلبى .

فإنه ذلك يفتر رغبته فى الجلى ، ويشوّش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه ، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق ! .. بل لا ينبغى أن يخاض مع العوام فى حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعلم العبادات وتعليم الأمانة فى الصناعات التى هم بصددها ، ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة فى الجنة والنار لما نطق به القرآن ، ولا يحرك عليهم شبهة ، فإنه ربما تعلق الشبهة بقلبه ، ويعسر عليه حلها ، فيشقى ويهلك »[١] .

والمقصود : أن المعلم طبيب يداوى القلوب والعقول بما يناسبها ، وليس كل دواء يصلح لكل داء .

٣ — مخاطبة الناس مراعيا أحوالهم :

وكان ﷺ يراعى أحوال المتعلمين ، وليس أدل على ذلك مما روته كتب السنة من اختلاف أجوبته ﷺ ، وفتاواه ووصاياه باختلاف أحوال المتعلمين .

فنجده ﷺ مثلا يُسأل : « أى العمل أفضل ؟ » ، أو « أى الإسلام أفضل ؟ » ، فتراه يجيب هذا بغير ما يجيب به ذلك

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « سألت رسول الله ﷺ : أى الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال : « الصلاة على وقتها » . قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » . قلت : ثم أى ؟ . قال : الجهاد فى سبيل الله »[٢] .

(١) إحياء علوم الدين ١/٥٨ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه ٨/٢ عن عبد الله بن مسعود فى كتاب الأدب باب قول الله تعالى ووصينا الإنسان بوالديه .

وعن أبي موسى الأشعرى قال : قالوا : يارسول الله أى الإسلام أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده »[1] .

والسؤال الثانى كالأول وإن اختلفت الألفاظ لكن جواب الرسول ﷺ ليس واحداً .

قال صاحب « اللباب » : « وفى هذا الحديث وأمثاله مما اختلفت فيه أجوبة النبى ﷺ استشكال مشهور عند أهل العلم ببحثه قال ابن حجر : ومحصّل ما أجاب به العلماء بأنه أفضل الأعمال أن الجواب اختلف لاختلاف أحوال السائلين بأنه أعلم كل قوم بما يحتاجون إليه أو بما لهم فيه رغبة ، أو بما هو لائق بهم .

أو كان الاختلاف باختلاف الأوقات بأن يكون العمل فى ذلك الوقت أفضل منه فى غيره فقد كان الجهاد فى ابتداء الإسلام أفضل الأعمال لأنه الوسيلة إلى القيام بها والتمكن من أدائها ، وقد تضافرت النصوص على أن الصلاة أفضل من الصدقة ومع ذلك ففى وقت مواساة المضطر تكون الصدقة أفضل .

أو : أن « أفضل » ليست على بابها بل المراد بها الفضل المطلق .

أو المراد: من أفضل الأعمال فحذفت (من) وهى مرادة[2] .

وأوضح من ذلك اختلاف جوابه ﷺ عن السؤال الواحد فى قضية

(١) رواه البخارى فى الصحيح ١٠/١ كتاب الإيمان باب أى الإسلام أفضل طبعة الشعب .

(١) انظر كتاب « اللباب فى البر والصلة والآداب » ص ١٣ ، لأستاذنا الأستاذ الدكتور العجمى دمنهورى خليفة . طبعة دار الطباعة المحمدية بالأزهر .

واحدة فى مجلس واحد . روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنا عند النبى ﷺ فجاء شاب فقال : يارسول الله . أقبّل وأنا صائم؟ فقال : لا . فجاء شيخ فقال : يارسول الله أقبل وأنا صائم ؟ قال : نعم ، فنظر بعضنا إلى بعض ! فقال رسول الله ﷺ : « قد علمت نظر بعضكم إلى بعض . إن الشيخ يملك نفسه »[1] .

٤ — مخاطبة الناس بلغاتهم ولهجاتهم :

ومن منهجه ﷺ أنه كان يخاطب كل قوم بلغتهم ولهجتهم ومن هذا مارواه الخطيب البغدادى بسنده عن عاصم الأشعرى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من امبر امصيام فى امسفر » أراد ليس من البر الصيام فى السفر وهذه لغة الأشعريين يقلبون اللام ميما »[2] .

٥ — إعادة الكلام مرتين أو ثلاثاً :

كان من منهجه الرسول ﷺ فى تعليم أصحابه أن يعيد كلامه ويكرره على السامعين حتى يدركوه جميعاً ، فلا يفوت أحدهم بعضه « فعن أنس

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ١٨٥/٢ ، والمسند للشيخ أحمد شاكر جـ ١٢ حديث رقم ٥٤ ٧ قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح مع أن فيه ابن لهيعة وقد وثقه الشيخ شاكر رحمه الله ويشهد له حديث أبى هريرة عند أبى داود فى نفس المعنى طبعة دار المعارف بمصر .

(٢) الكفاية ص ١٨٣ وقد أخرجه الإمام أحمد ورجاله ، رجال الصحيح «ترغيب» ١٣٤/٢ ومالك وأبو داود والنسائى «ليس من البر الصوم فى السفر » تيسير الوصول ٣١٢/٢ لابن الديبع الشيبانى نشر دار الاتحاد العربى للطباعة

ابن مالك عن النبي ﷺ أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً»[1].

وعن عبد الله بن عمرو قال: تخلف رسول الله ﷺ في سفر سافرناه فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة — صلاة العصر — ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته، ويل للأعقاب من النار مرتين أو ثلاثا[2].

ولا يفهم من حديث أنس وغيره أنه كان يفعل ذلك دائماً بل بقدر ما تقتضيه الحاجة[3].

عن عائشة رضي الله عنها قالت إنه ﷺ كان لا يسرد الكلام كسردكم ولكن كان إذا تكلم بكلام يحفظه من سمعه[4]، وفي رواية إنما كان النبي ﷺ يحدث بحديث لو عده العاد لأحصاه[5].

فيتبين لنا من ذلك كله أنه ﷺ كان يبين للناس الأحكام جيداً حتى لا يبقى لسامع سؤال، ولا لسائل مشكل يقف عنده، حتى أنه «كان يجيب السائل بأكثر مما سأله»[6].

---

(١)، (٢) رواه البخاري في الصحيح في كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه ١/٣٤.

(٣) السنة قبل التدوين ص ٥١.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٩٦، للخطيب البغدادي نشر مكتبة الفلاح بالكويت، فتح الباري ٧/٣٩٠

(٥) فتح الباري ٧/٣٨٩

(٦) فتح الباري ١/٢٤١ باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله الطبعة السلفية.

٦ — التيسير والتبشير:

إن الله يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر، وهو سبحانه يحب التيسير والرفق في الأمر كله، ويجزي على الرفق ما لا يجزي على العنف، وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا دخل العنف في شيء إلا شانه.

وأحق شيء بالتيسير والرفق: التعليم.

وكان رسول الله ﷺ يتبنى روح التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير وامتلأت كتب السنة بالأحاديث الكثيرة في ذلك منها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ماخير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله تعالى[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل هيّن لين سهل[2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ٤/٢٣٠ عن عائشة وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب المناقب باب مباعدته ﷺ للآثام ٤/١٨١٣.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٦٥٤ كتاب القيامة باب رقم ٤٥ وقال: هذا حديث حسن غريب.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إياكم والوصال — أى الوصال فى الصيام — قالها ثلاث مرات — قالوا : فإنك تواصل يارسول الله ؟ قال : إنكم لستم فى ذلك مثلى إنى أبيت يطعمنى[1] ربى ويسقينى ، » فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون »[2] .

وفى قيام رمضان روى عن أبى هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول: من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه[3] .

قالت عائشة صلى النبى : ﷺ فى المسجد فصلى بصلاته ناس كثير ، ثم صلى من القابلة فكثروا ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج إليهم فلما أصبح قال : « قد رأيت صنيعكم فلم يمنعنى من الخروج إليكم إلا أنى خشيت أن تفرض عليكم ، وذلك فى رمضان »[4] .

وكان رسول الله ﷺ يوصى من يبعثه من أصحابه ليبلغ ويعلم الناس بالتيسير وعدم التعسير والتبشير وعدم التنفير كانت تلك وصيته إلى كل من بعثه من أصحابه معلمين وهداه وقضاة ، مثل معاذ بن جبل وأبى موسى الأشعرى حيث قال لهما — وقد بعثهما إلى اليمن — : « يسّرا ولا تعسرا وبشّرا ولا تنفرا »[5] .

---

(١) يطعمنى الخ : أى يجعل له قوة الطاعم والشارب .

(٢) رواه البخارى فى الصحيح كتاب الصوم باب التنكيل لمن أكثر الوصال ٣/٤٩ .

(٣) أخرجه البخارى فى الصحيح فى كتاب الصوم باب فضل من قام رمضان ٣/٥٨ .

(٤) روى البخارى نحوه فى كتاب الصوم باب فضل من قام رمضان ٣/٥٩ .

(٥) أخرجه البخارى فى الصحيح ٥ / ٢٠٥ فى كتاب المغازى =

قال الحافظ ابن حجر : فى شرحه لهذا الحديث :

وفى الحديث : الأمر بالتيسير ، والرفق بالرعية ، وتحبيب الإيمان إليهم ، وترك الشدة لئلا تنفر قلوبهم ، ولا سيما فيمن كان قريب العهد بالإسلام ، أو قارب حد التكليف من الأطفال ، ليتمكن الإيمان من قلبه ويتمرّن عليه .

وكذلك الإنسان فى تدريب نفسه على العمل إذا صدقت إرادته لا يشدد عليها بل يأخذها بالتدريج والتيسير ، حتى إذا أنست بحاله . ودامت عليها نقلها لحال آخر . وزاد عليها أكثر من الأولى ، حتى يصل إلى قدر احتمالها ، ولا يكلفها بما لعلّها تعجز عنه »[1] .

وفى حديث آخر عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « علموا ، ويسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، وإذا غضب أحدكم فليسكت »[2] .

= باب بعث أبى موسى إلى اليمن قبل حجة الوداع عن أبى بردة .

(١) انظر : فتح البارى لابن حجر العسقلانى ج ١١ ص ٢٨٦

(٢) رواه أحمد ١ / ٢٤٩ ، والبخارى فى الأدب المفرد ورمز السيوطى لصحته واعترض المناوى بأن فيه ليث بن أبى سليم وهو مدلس ولم يخرج له مسلم إلا مقرونا بغيره انظر « فيض القدير » المناوى ج ٤ ص ٢٢٨ حديث رقم ٥٤٨٠ .

٧ — اختيار أحسن الأساليب :

إذا أراد العالم أن يكون ناجحاً فى تعليمه ، مؤثراً فى تلاميذه فعليه أن يتخير أفضل الطرق ، وأحسن الأساليب ، وأقربها إلى عقل المتعلم وقلبه ، وأحسنها وقعاً فى سمعه وبصره ، وهذا أيضاً يساعد المعلم على حسن توضيح مايريد إعطاءه من العلم لتلاميذه، وحسن تثبيته فى أذهانهم وأنفسهم .

ومن درس السنة النبوية، وعاش فى كتب الحديث رأى من الأساليب التربوية واستخدام الوسائل المعينة مايحسب جمهور المشتغلين بالتربية أنه شىء غريب عن تراث الإسلام .

فمن الأساليب الناجحة فى التأثير والإقناع : التشبيه وضرب الأمثال بحيث يظهر المعقول فى صورة المحسوس ، والغامض البعيد فى صورة الواضح القريب .

والدارس للسنة النبوية يجدها حافلة بالعديد من التشبيهات والأمثال التى تمثل ذروة البلاغة البشرية ، وقمة الروعة الأدبية ، والرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا يقتدى بالقرآن الكريم فى تشبيهاته وأمثاله .

وفى « الجامع الصغير » للإمام السيوطى فقط نجد « ٤٢ » إثنين وأربعين مثلا ، وكل واحد منها كأنما هو معلم يشرح ويوضح ويقرب .

نذكر نماذج قليلة منها :

« مثل المنافق كمثل الشاة العائرة (المترددة المتحيرة) ،

بين الغنمين : تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة ولا تدرى أيهما تتبع »[1] .

« مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها ، وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدى[2] .

« مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة » ... الحديث .

ومنها : « مثل ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأتمه وأحسنه » ... الحديث .

ومن الأساليب المؤثرة فى الأنفس والعقول كذلك : أسلوب القصه ولذا عنى بها القرآن ، وقص علينا من أنباء الرسل وأخبار المؤمنين وصراعهم مع أهل الكفر والطغيان ، ما يثبت الفؤاد ، ويدفع ريب المرتابين ، وتهدى الحائرين ، ويزيد الذين اهتدوا هدى .

وكذلك استخدم الرسول القصة فى تبيين قيم ومعانى معينة وتثبيتها مثل بيان أثر الإخلاص فى نجاة الإنسان من المهالك كما فى قصة الثلاثة أصحاب الغار . ومثل بيان أثر الشكر فى بقاء النعمة وكفر النعمة فى زوالها كقصة الأعمى والأبرص والأقرع ، ومثل بيان عاقبة الرحمة ولو كانت لحيوان أعجم مثل الكلب كما فى قصة الذى سقى كلبا يلهث من شدة العطش فشكر الله له فغفر له ، إلى غير ذلك من القصص المنثورة فى كتب الأحاديث وما أجدرها أن تجمع » .

---

(١) مسلم فى صحيحه ٤/٢١٤٦ فى كتاب صفات المنافقين عن ابن عمر كتاب الرقاق باب الإنتهاء من المعاصى .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٨/١٢٧ عن أبى هريرة ط الشعب ومسلم فى صحيحه ٤/١٧٨٩ عن أبى هريرة فى كتاب الفضائل باب شفقته ﷺ على أمته

٨ — التدرج فى التعليم :

فقد كان الرسول ﷺ يعلم أصحابه أن يأخذوا بسنة التدرج التى هى سنة الله فى الحياة والوجود كله .

عن ابن عباس رضى الله عنه — أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال : « إنك تأتى قوما من أهل الكتاب . فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة ، فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم .. الحديث »[1]

فقوله : تأتى قوماً من أهل الكتاب ، كالتوطئة للوصية ، لتستجمع همته عليها ، لكون أهل الكتاب أهل علم فى الجملة فلا تكون مخاطبتهم كمخاطبته للجهال من عبدة الأوثان .

ثم أمره أن يبدأ دعوته بأمر العقيدة ، فيدعوهم إلى الشهادتين ، لأنها باب الدخول فى الإسلام ، وأصل الدين كله ، ولا تقبل عبادة ولا عمل بغير الإقرار بها والاذعان لها .

فإن هم أطاعوا لذلك ورضوا بالله رباً ، وبمحمد رسولا ، أعلمهم بالفريضة اليومية والعبادة العملية الأولى التى هى الرباط الدائم بين الإنسان وربه ، والفيصل الفارق بين المسلم والكافر وهى الصلاة عمود الإسلام .

---

(١) أخرجه مسلم ١ / ٥٠ كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام .

فإن هم عرفوا ذلك واستجابوا له فأعلمهم بالفريضة العملية الثانية وهى شقيقة الصلاة فى القرآن والسنة ، والرباط الاجتماعى والاقتصادى بين المسلمين وبعضهم وهى الزكاة . هكذا ينبغى أن تكون الدعوة ، ويكون التعليم .

والتدرج فى التعليم ذو شقين . شق يتعلق بالكم ، وشق يتعلق بالكيف .

فالأول يعنى : أن يعطى المتعلم من العلم المقدار الملائم له ، ولا يكثر عليه الأستاذ ، ويحمّله مالا يطيق ، فينوء به ويضيعه كله . فهو يريد أن يعطيه الكثير كله دفعة واحدة ، فيضيع بذلك الكثير والقليل ، والعلم متين كالدين ، فيجب أن يوغل فيه برفق ، فان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

وفى هذا أوصى الزهرى تلميذه يونس بن زيد فقال : يا يونس لا تكابر العلم ، فإن العلم أودية ، فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ولكن خذه مع الأيام والليالى ، ولا تأخذ العلم جملة ، فإن من رام أخذه جملة ذهب عنه جملة ولكن خذ الشىء بعد الشىء مع الأيام والليالى »[1]

والشىء الثانى فى التدرج هو : ما يتعلق بالكيف والنوع على معنى أن يبدأ الأستاذ مع طلابه بالجلى من العلم قبل الخفى ، والبسيط قبل المركب وبالخفيف قبل الثقيل ، والجزئى قبل الكلى ، وبالعملى قبل النظرى .

وقال ابن عباس فى تفسير قول الله تعالى: «ولكن كونوا ربانيين»[2] حكماء علماء فقهاء .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله جـ ١ صـ ١٢٥ نشر دار الكتب الحديث ، بالقاهرة .

(٢) آل عمران : آية ، ٧٩ .

ويقال الربانى: الذى يربّى الناس بصغار العلم قبل كباره[1]، والمراد بصغار العلم: ماوضح من المسائل وبكباره: مادق منها.

وقيل: يعلّم جزئياته قبل كلياته، أو مقدماته قبل مقاصده.

والمهم ألا يبدأ المعلم تلاميذه بدقائق العلم، وعويص مسائله فيغرقهم فى بحر عميق لايستطيعون النجاة منه، بل يبدؤهم بالأسهل والأيسر، لأن الشىء إذا كان فى ابتدائه سهلا حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط وكانت عاقبته غالبا الازدياد بخلاف ضده[2].

٩ — الاعتدال وعدم الإملال:

فعلى المعلمّ أن يراعى الطاقة النفسية للناس، فإن من يستمع أو يتعلم وهو كاره لايستفيد مما يتلقاه فهو يسمع بأذنه ولا يعى بقلبه. وكما أن للإنسان طاقة بدنية محدودة يجب أن تراعى فلا يحمل من الأثقال المادية مالا يطيق، فكذلك طاقته النفسية.

فعلى المعلمّ أن يراعى ذلك ويقتصد فى التعليم، وإلقاء المعلومات حتى لايؤدى الإكثار إلى الإملال.

روى البخارى بسنده عن أبى وائل قال: كان عبد الله (يعنى ابن مسعود يذكّر الناس فى كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن

(١) صحيح البخارى كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل ١/ ٢٧ تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٧ ط عيسى الحلبى

(٢) انظر «فتح البارى» ١/ ١٧١ - ١٧٣ بتصرف وكذلك «الرسول والعلم» للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى ١٣٣، ١٣٤ طبعة دار الصحوة للنشر.

لوددت أن ذكّرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم، وأنى أتخولكم (أى أتعهدكم) بالموعظة كما كان النبى ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا»[1].

فيستنبط من هذا: أن رسول الله ﷺ كان يخشى أن يملّ أصحابه، فيتخولهم بالموعظة بين وقت وآخر، لأن الاستمرار فى تعليمهم وتوجيههم يدخل الملل إلى نفوسهم، فتقل الفائدة.

فمن الحكمة سلوك هذا الطريق فى التعليم، وهو الطريق الذى تعتمده اليوم المؤسسات التربوية الناجحة فى مناهجها التعليمية، وهى خير طريقة لتثبيت ما يتلقاه الطالب من المعلومات.

وعلى المعلمّ الناجح أن يدخل على درسه بعض المروّحات عن النفس من المُلح أو الطرائف، أو الأشعار حتى لاتسأم النفوس، وتمل القلوب وكان النبى ﷺ يمزح ولايقول إلا حقاً.

وقد رويت عنه ألوان من الدعابة الحلوة المباحة التى تدخل على القلوب الأنس بلا إسفاف ولا إسراف.

وقال الإمام على: اجمعوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان.

وعنه أيضا: روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإنه القلب إذا كره عمى.

وفى هذا اللون من ترويح الأنفس فائدتان:

الأولى: مطاردة السآمة، وإزالة آثار ما يصيب البدن من كلل،

(١) انظر فتح البارى جـ ١ ص ١٧٢، ١٧٣، صحيح البخارى ١/ ٢٧ كتاب العلم باب ما كان النبى ﷺ يتخولهم بالموعظة.

والنفس من ملل ، نتيجة مواصلة الدأب ، والتكرار اليومى الرتيب ، وهو ما أشار إليه الإمام على فيما ذكرنا .

وفيه يقول الشاعر :

والنفس تسأم إن تطاول جدها
فاكشف سآمة جدها بمزاح

والثانية : تنشيط النفس لمواصلة السعى إلى الجد ، ومعاناة البحث عن الحقيقة مهما تكن مشقة الطريق .

ولكن ينبغى هنا مراعاة أمرين :

الأول : ألا يكون فى هذه المُلَح والطُرَف تجاوز أو إسفاف مما لا يليق بمجلس العلم وأهله .

الثانى : أن تكون بالقدر المناسب بحيث يكون الجد هو الأصل والقاعدة وهذه هى الاستثناء ، فإن كل شىء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده حتى العبادة قد كره الغلو فيها ، فكيف بالمباح وكيف باللهو منه؟!

وفى هذا جاء عن الإمام على رضى الله عنه قوله : أعط الكلام من المزاح بمقدار ما تعطى الطعام من الملح[1] ، وقد نظم البستى هذا فى بيتين لطيفين فقال :

أفد طبعك المكدود بالهم راحة
يجم وعلله بشىء من المزح
ولكن إذا أعطيته ذاك فليكن
بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

(١) انظر كتاب «الرسول والعلم» ص ١٤١ ، ١٤٢ .

١٠ — إثارة الانتباه بالسؤال :

كان الرسول ﷺ كثيراً ما يستخدم الطريقة الاستنباطية لاستخراج الحقيقة العلمية المنشودة من أفواه المتعلمين ، أو على الأقل تفتيح أذهانهم لتلقيها بعد تشوق النفوس ، وتطلع العقول إلى معرفتها ، وذلك عن طريق طرح السؤال عليهم ليجيبوا عنه إن استطاعوا أو يسمعوا الإجابة الصحيحة منه ﷺ .

ذكر الإمام البخارى فى صحيحه بابا بعنوان « باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم » وأخرج فيه حديث عبد الله بن عمر « أن النبى ﷺ قال : إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها ، أى : (لا فى الشتاء ولا الصيف) ، وأنها مثل المسلم ، حدثونى : ما هى ؟ قال : فوقع الناس فى شجر البوادى ، قال عبد الله : فوقع فى نفسى أنها النخلة : ثم قالوا : حدثنا ما هى يا رسول الله ؟ قال : هى النخلة[1] .

فيا هو عليه السلام لم يلق عليهم هذه الحقيقة إلقاء تقريريا : أن المسلم مثل النخلة ، بل أراد أن يستثير دفائن ما عندهم ويلفتهم إلى ملاحظة ما حولهم ، ويشركهم معه فى البحث ، وبهذا لا يصبح المتعلم مجرد جهاز تسجيل ينفعل ولا يفعل ، ويتلقى ولا يفكر ، بل هو كائن حى عاقل يبحث ويفكر ويحاور ويناقش ويخطىء ويصيب .

وذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رسول الله ﷺ : « أى الخلق أعجب إليكم إيماناً ؟ » قالوا : الملائكة . قال : « وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟! » قالوا : فالنبيون قال : « وما لهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم ؟! » قالوا . نحن ، قال : أو أخبرنا .

(١) أخرجه البخارى ٣/١ كتاب العلم باب قول المحدث حدثنا

ومالكم لاتؤمنون وأنا بين أظهركم ؟!» قالوا : نحن . قال : «ومالكم لاتؤمنون وأنا بين أظهركم ؟!» فقال رسول الله ﷺ : ألا إن أعجب الخلق إلى إيماناً لقوم يأتون من بعدكم ويجدون صحفاً فيها كتاب يؤمنون بما فيها»[1] .

فلم يذكر لهم الرسول ﷺ ما يريد بيانه لهم إلا بعد هذا الحوار الممتع وطرح السؤال ومناقشة الأجوبة ، حتى إذا تشوقت النفوس إلى معرفة الحقيقة جاءت على لسانه ﷺ ناصعة جلية .

إلى غير ذلك مما امتلأت به كتب السنة من أساليب الإثارة والتشويق التى كان يستعملها الرسول ﷺ فى تعليم أصحابه .

١١ — استخدام الوسائل العينة :

من منهج الرسول ﷺ فى التعليم أنه كان يستعين بكل وسيلة بصرية أو سمعية متاحة ، مما يساعد على إيضاح الحقيقة المقصودة .

ومن المعروف أن البيئة آنذاك لم تكن تساعد على توفير هذه الوسائل والرسول ﷺ نفسه أمى لايقرأ ولايكتب ، ولكن الذى يهمنا هو تقرير المبدأ والفكرة أولا ، وتطبيقها فى الحدود المتاحة ثانيا ، ونجد بعض الأمثلة البينة للدلالة على ما نقول :

يروى ابن مسعود رضى الله عنه فيقول :

خط لنا رسول الله ﷺ خطا بيده ، ثم قال : «هذا سبيل الله مستقيما»

(١) عزاه ابن كثير إلى الحسن بن عرفة ، ونقل عن أبى حاتم الرازى أن المغيرة بن قيس أحد رواته منكر الحديث ، ولكن ذكر له شاهدا عن عمر مرفوعا عند أبى يعلى ، وابن مردويه . والحاكم وصححه على أن فيه راويا ضعيفا ، وروى نحوه عن أنس بن مالك مرفوعا «تفسير ابن كثير» ج ١/٤٢ طبعة عيسى الحلبى .

وخط عن يمينه وشماله ثم قال : «هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه[1] ثم قرأ «وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ...»[2]

فترى فى هذا الحديث أن النبى ﷺ يفسر لأصحابه الوصية الأخيرة من الوصايا العشر فى سورة الأنعام ، ولكنه لم يقتصر على تفسيرها بالكلام المجرد بل استعمل لذلك ما هو ميسور له وهو الرمل يخط عليه بيده بدل اللوح وهو هنا يرسم صراط الله المذكور فى الآية الكريمة فى صورة خط مستقيم ولهذا قال : هذا سبيل الله مستقيما ، ويرسم السبل الأخرى التى حذرت الآية من اتباعها فى صورة خطوط متعرجة عن يمين الخط الأوسط المستقيم وشماله ، ثم يشير إليها قائلا ، «هذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم يختم هذا التوضيح العملى بقراءة الآية الكريمة فتقع أعظم موقع فى نفس السامع المشاهد وعقله ، فهنا اشتراك البصر مع السمع فى استيعاب معنى الآية ، وفهم مراد الله تعالى منها .

ومن الأساليب المعينة على الفهم والاستيعاب المثبتة للمعنى المطلوب أسلوب الاشارة الحسية التى يرتبط فيها المعقول بشىء ملموس .

وكان ﷺ كثيراً ما يستخدم هذا الأسلوب لتنبيه الغافل وتثبيت المنتبه .

من ذلك حديث جابر عند مسلم : «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ٨/١١٠ — ١١١ عن عبد الله ابن مسعود

(٢) الأنعام آية : ١٥٣

بأصبعيه السبابة والوسطى وفرق بينهما »[1].

فهذة الإشار بأصبعيه فى بيان قرب مبعثه من الساعة لها من الوقع فى النفس غير ما يقوله : بعثت قرب الساعة .

ومن ذلك حديثه لمعاذ بن جبل حين أوصاه بجملة وصايا ثم قال له : « ألا أدلك على ملاك ذلك كله » قال : بلى : قال : « كف عليك هذا » وأشار إلى لسانه[2] .

إن هذه الإشارة الحسية إلى اللسان تجعل معاذا ، وكل من حضر هذا القول لا ينسى أهمية اللسان ، وآفاته التى تكب الناس فى النار على مناخرهم .

وهذه الأمثلة بدت الإشارة فيها إلى جزء من كيان المعلم نفسه يداً أو لساناً وغير هذه الأمثلة كثير امتلأت بها كتب السنة المطهرة .

١٢ — الاشفاق على المخطىء :

إن الخطأ لا يوجب مقابلة المخطىء بالعنف والقهر ، أو التشنيع عليه أو السخرية به ، فإن هذا قد يؤدى إلى إذلال نفسيته وتحطيم شخصيته وهذا نوع من القتل المذموم دينا وخلقا ، أو يؤدى به إلى الإصرار على

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ١٣١/٨ عن سهل بن سعد فى كتاب الرقاق باب قول النبى ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين وأخرجه مسلم فى صحيحه ٢٢٦٨/٤ كتاب الفتن باب قرب الساعة عن سهل بن سعد

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ١٢/٨ وقال الترمذى : هذا حديث حسن .

الخطأ والتمادى فى الباطل ، والتحدى للحق دفاعا عن نفسه ، وتسويغا للغلط وكلا الأمرين شديد الخطر عظيم الضرر .

وكان رسول الله ﷺ أرفق الناس بالمتعلمين ، فهو خير من يقدر الظروف ، ويراعى الأحوال ويسع الناس جميعاً حتى ذلك الأعرابى الجلف الذى لم يخجل أن يبول فى ركن من المسجد أمام الناس ، لم يغلظ عليه ، وقابله بما ينبغى لمثله من الرفق واللين .

روى مسلم فى صحيحه عن أنس قال: « بينما نحن فى المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابى ، فقام يبول فى المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه ! « اسم فعل أمر بمعنى اكفف وتوقف ، وتكريره للتوكيد والترجى » قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا تزرموه ، دعوه » فتركوه حتى بال . ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر إنما هى لذكر الله عز وجل أو الصلاة ، وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله ﷺ — قال : فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه »[1]

وروى الترمذى عن أبى هريرة قال : « دخل أعرابى المسجد والنبى ﷺ جالس ، فصلى ، فلما فرغ قال : « اللهم ارحمنى ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحد فالتفت إليه النبى ﷺ فقال : « لقد تحجرت واسعاً » ... فلم يلبث أن بال فى المسجد فأسرع الناس ، فقال النبى ﷺ : « أهريقوا

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الطهارة حديث رقم ٢٨٥ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى .

عليه سجلا من ماء — أى دلوا من ماء — ثم قال : إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين »[1] .

فلقد راعى الرسول ﷺ بداوة الرجل ونشأته وظروف حياته ، فلم يستجب لثورة أصحابه وهياجهم عليه ، وعرّفهم أن علاج الأمر سهل فى مسجد لم يكن مفروشاً إلا بالحصباء ، وهو : صب دلو من ماء ثم نبههم على طبيعة رسالتهم التى كلفوا حملها للناس ، وهى التيسير لا التعسير .

وروى أبو أمامة : أن فتى من قريش جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إئذن لى فى الزنا ؟ فأقبل القوم عليه وزجروه فقال ﷺ : ادنه . فدنا فقال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلنى الله فداك . فقال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، ثم قال له مثل ذلك فى ابنته وأخته وعمته وخالته ، وفى كل ذلك يقول : أتحبه هكذا ؟ فيقول : لا والله جعلنى الله فداك ، فيقول ﷺ : ولا الناس يحبونه ، ثم وضع يده عليه وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه » فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شىء[2] .

فهذا شاب عارم الشهوة ، ثائر الغريزة ، صريح فى التعبير عن نوازعه إلى حد الإغراب والإثارة ، ورغم غرابة طلبه الذى أثار الجالسين عليه لم يكن منه ﷺ إلا أن لقيه بهذا الرفق العجيب والحوار الهادىء الذى يحمل المنطق المقنع ، ثم أنهى هذا الحوار بلمسة حنان على صدر الفتى

(١) رواه الترمذى فى سننه جـ ١ باب ١١٢ عن أبى هريرة وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده جـ ٥/٣٥٧ عن أبى أمامة الباهلى .
وأخرجه الطبرانى فى الكبير كما جاء فى جمع الفوائد حديث رقم ٢٤٠ .

للتوقد ، ومع اللمسة دعوات خالصة لله تعالى أن يغفر للفتى ويطهره ويحصنه، فاذا هو يخرج من مجلس الرسول الكريم ﷺ كأنما كان هذا اللقاء لنار شهوته برداً وسلاما .

ولا يظن إنسان بأن هذا الأثر الذى تركه موقف النبى ﷺ فى نفس الشاب من هدوء نفسى وإعراض عن الزنى الذى كان يتوق إليه، ويرغب فيه . كان معجزة خارقة للنبى عليه الصلاة والسلام . ولا تتكرر لغيره إلا من باب الكرامات ، وخوارق العادات ! كلا فان أى معلم ربانى الوجه ، نبوى الطريقة ، يقتدى برسول الله ﷺ فى سلوكه قولا وعملا وروحاً سيجد بتوفيق الله تعالى نفس الأثر أو قريبا منه وفقا لسنة الله تعالى .

١٣ — تنبيه المخطىء على خطئه :

الاشفاق على المخطىء لا يعنى السكوت على خطئه ففى هذا إقرار للخطأ بل تشجيع له ، فالرفق بالمخطىء لا ينافى تنبيهه على خطئه ، بل زجره عنه بالرفق المناسب لظروف المخطىء ومدى خطئه ونوعه ودوافعه، وإرشاده إلى الصواب والوضع الصحيح بالتى هى أحسن . ولهذا رأيناه ﷺ بعد أن ترك الأعرابى يبول فى المسجد دون أن تقطع عليه بولته ، وبعد أن أمر بصب دلو من ماء عليه ، وبعد أن قال لأصحابه ما قال : « إنما بعثتم ميسرين » دعا الأعرابى فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر إنما هى لذكر عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » .

وفى هذا — كما يقول الإمام النووى — الرفق بالجاهل وتعليم ما يلزمه من غير إيذاء .

وكذلك حين دعا الأعرابى فقال : اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا

أحدا ، نبهه النبي ﷺ برفق إلى أنه ضيّق واسعا ، حين قصر طلب الرحمة له وللرسول دون غيرهما ، مع أن رحمته تعالى وسعت كل شيء ، ولهذا قال له : لقد تحجرت واسعا !!

وقد يكون هذا التنبيه أو الإرشاد أو الزجر من باب التعريض لا التصريح ، وبالتعميم لا بالتخصيص ، ويدرك المخطيء حين يسمع اللفظ العام أنه المقصود مثل : «مابال أقوام يفعلون كذا وكذا» ومثل ما ذكروه في قصة من هاجر من مكة إلى المدينة من أجل امرأة يهواها وأطلق عليه بعض الصحابه « مهاجر أم قيس » .

« وقصة مهاجر أم قيس رواها سعيد بن منصور بسنده عن عبدالله بن مسعود قال : من هاجر يبتغي شيئا فإنما له ذلك ، هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فكان يقال له : مهاجر أم قيس .

ورواه الطبراني من طريق أخرى عن الأعمش بلفظ : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لهـــا أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه : « مهاجر أم قيس » وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين »[1] . وقالوا انه كان سببا في ورود الحديث المشهور « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »[2] .

وأحيانا يكون التنبيه على الخطأ غاية في الرفق ورعاية الشعور كما في قصة ابي بكرة حين دخل المسجد والنبي ﷺ في الركوع فكبّر من أول المسجد وركع ، وظل يمشي راكعا حتى دخل الصف . وكان ينبغي

(١) انظر كتاب فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ١٠ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١/٢ طبعة الشعب .

ألا يكبر ويدخل في الصلاة حتى يصل إلى الصف ولا يصلي منفرداً خلف الصف ، فلما بلغ رسول الله ﷺ فعله قال له هذه الكلمة الطيبة : «زادك الله حرصا ولا تعد »[1] .

فهذه الجمله الموجزة تتضمن دعاء ونهيا ، ففي الدعاء تقرير لنبل الدافع الذي دفع الصحابي الكريم إلى ما فعل ، وهو الحرص على ألا تفوته الركعة في الجماعة مع النبي ﷺ ، وفي النهي إشعار له بخطئه لئلا يتكرر منه مرة أخرى دون أن يقول له : قد أخطأت .

وعن معاوية بن الحكم السلمي قال : بينما انا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم فقلت : واثكل أماه ما شأنكم تنظرون إليّ ؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم .. فلما رأيتهم يصمّتونني (أي يسكتّونني) لكني سكت ، فلما صلى رسول الله ﷺ ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ، فوالله ما كهرني (أي : ما نهرني) ولا ضربني ولا شتمني قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هي للتسبيح والتكبير وقراءة القرآن . أو كما قال رسول الله ﷺ قلت : يارسول الله إني حديث عهد بالإسلام وقد جاءالله بالإسلام ، وان منا رجالا يأتون الكهان ؟ قال : فلا تأتهم ، قلت : ومنا رجال يتطيرون ويتشاءمون ، قال : ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدّنهم »[2] .

فهذا العربي الحديث العهد بالإسلام ، يدخل الصلاة ويتصرف فيها كأنما هو في مجلس من مجالس القوم : يشمت العاطس ، ويكلم من حوله ،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/١٩٩ كتاب الأذان باب إذا ركع دون الصف عن أبي بكرة .
(٢) أخرجه مسلم حديث رقم ٥٣٧ .

ويرد على من أنكر عليه ، والصحابه يرون هذا منه ويتبهونه بنظرات أعينهم وحركات أيديهم، وهو لا ينتبه إلى خطئه حتى فرغ من صلاته ، وحكوا للنبي ﷺ ما صنعه فى صلاته ، وهنا تتجلى روح المعلم الحق وأسلوبة الرفيق الرقيق فى معالجة الخطأ وتنبيه المخطئين وتعليم المبتدئين وهو ماحظه هذا الرجل الأمى البسيط بنور فطرته ، وعبرّ عنه بعبارته القوية البليغة : « بأبى هو وأمى مارأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرنى ولا ضربنى ولا شتمنى » .

كل ما فعله ﷺ : أنه نبهه على خطئه دون أن يقول له : أخطأت وأسأت ، ولم تعرف للصلاة قدرها ، ونحو ذلك من العبارات القاسية إنما بيّن له حقيقة الصلاة ومالا يليق من القول أن يدخل فيها فقال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شىء من كلام الناس إنما هى التسبيح والتكبير وقراءة القرآن » .

وكذلك يجب أن يكون المعلمون الصادقون(١) .

وقد تثار هنا قضية الضرب واستخدام العصا فى التعليم وخصوصاً بالنسبة للصغار ، والتربويون فى عصرنا ينكرون الضرب على الاطلاق والواقع أن الضرب فى الأصل ينبغى أن يمنع ، لأنه ينافى الرفق فى التعليم الذى ذكرناه قبل ذلك .

وقد وعينا فى هذا معلمنا الأول رسول الله ﷺ فقد روى عنه خادمه أنس بن مالك أنه ﷺ ماضرب بيده شيئا قط لامرأة ولا خادماً ولا دابه »(٢) .

---

(١) انظر « الرسول والعلم » ، ص ١٢٦ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/١٨١٤ كتاب الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام .

وشرع الإسلام ضرب الصغار لتعويد الأبناء الصلاة قبل البلوغ . حتى يشبوا على أدائها ورعايتها فقال ﷺ : « مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين »(١) .

وهنا نلاحظ أنه لم يجز الضرب فى سن الطفولة المبكرة ، بل فى سن العاشرة ولم يجزه إلا بعد الأمر والدعوة والترغيب لمدة ثلاث سنين .

وإنما شرع الضرب فى هذه الحال لإشعار الولد بجدية الأمر وحرص الأب ، وأهمية المطلوب منه ، وعدم التهاون فيه .

فإن بعض الآباء قد يكتفى بكلمة عابرة لقولها للولد : صل يا بنى . ثم لا يحاسبه بعد ذلك صلى أم لم يصل ؟ استجاب لأمر أبيه أم جعله دبر أذنيه ! .

وكما أن الأب الحازم لا يرضى أن يهمل ابنه أمره فى شئون الدنيا فأحرى به أن يكون هذا موقفه مع ولده فى شأن الدين بل هو أهم وأولى ومنزلة المعلم منزلة الأب ، فيجوز له مايجوز للأب فى بعض الأحيان على أن يكون هذا استثناء من القاعدة الأصلية ، وأن يكون ذلك ضرورة تقدر بقدرها .

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ١/١١٥ كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال المناوى فى الفيض : حسنه النووى فى رياض الصالحين ورواه الحاكم انظر «فيض القدير » ٥/٥٥١ .

١٤ — تشجيع المحسن والمجد والثناء عليه :

إذا كان من النافع فى التعليم تنبيه المخطىء فى رفق ، فإن مما يكملها تشجيع من أصاب وأحسن ، فمن طلاب العلم من أوتى الموهبة والذكاء والقدرة على الفهم والتحليل والتحصيل ولكن تنقصه الثقة بالنفس والأمل فى الغد مما أحوجه إلى كلمة من أستاذ مرشد تنفعه وترفعه وإن كلمة تقدير وتكريم من أستاذ له قدر فى شأن أحد تلاميذه قد تصنع منه - بتوفيق الله تعالى - نابغة من نوابغ العلم .

وهكذا كان ﷺ ينوه بأقدار الفضلاء من أصحابه وبذوى المواهب المتميزة منهم .

فى حديث اشتهر عنه ذكر ﷺ عدداً من أصحابه كلا بأبرز ما يميزه من الفضائل فقال : « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر ، وأشدهم فى الله عمر ، وفيه : إن أقضاهم على ، وأفرضهم (أى : أعلمهم بالفرائض وهى المواريث) زيد ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل .. إلخ »[1] .

ومن قرأ كتاب المناقب ، أو الفضائل فى صحيح البخارى ، أو صحيح مسلم ، أو سنن الترمذى أو غيرها من كتب الحديث يجد نصوصا تحمل الثناء على واحد ، أو جماعة من أصحاب النبى ﷺ ، ولم يكن يلقى النبى ﷺ ما يقوله من كلمات الثناء اعتباطا أو مجاملة ، بل كانت تقديراً لمن يستحق التقدير وتكريما لمن هو أهل للتكريم ، كما أثنى على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من كبار الصحابة فى مواقف شتى .

• • •

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٥/٦٦٤ كتاب المناقب باب مناقب معاذ ابن جبل وزيد بن ثابت وأبى وأبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم عن أنس وقال الترمذى : هذا حسن غريب .

خاتمة البحث

تبين لنا من هذا البحث : أهم مميزات منهج الرسول ﷺ فى تعليم أصحابه ، واستطاع الرسول ﷺ أن يحوّل به إيمانهم بالإسلام عملا ، وأن يصنع منهم رجالا كانوا من أكرم الناس ، وأنبل الناس ، وأرحم الناس ، وأشجع الناس ، وأوفى الناس ... حتى قال الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فى تعداد محامدهم وفضائلهم حتى نتأسى بأفعالهم الحميدة ، وأخلاقهم الكريمة : « من كان متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، ولإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم »[1] .

إن منهج الرسول ﷺ فى التعليم سبق به أفضل ما يباهى به علماء عصرنا ومفكروه من قيم تربوية ، وأسس تعليمية ، ويُعد هذا المنهج من أرقى المناهج التعليمية التى يجب أن تحتذى حتى ننشىء الفرد المسلم الصالح ، النافع لنفسه ومجتمعه ، ولا شك أن المجتمع المسلم يتكون من مجموع الأفراد الصالحين .

وصدق الله حيث يقول : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »[2] .

وصلى الله على سيدنا ومعلمنا محمد ﷺ ، وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين ؟

(١) أنظر كتاب : تربية الأولاد فى الإسلام للأستاذ عبد الله ناصح علوان جـ ١ ص : ٩ طبعة دار السلام للطباعة والنشر الطبعة الثانية .

(٢) سورة الأحزاب : آية : ٢١ .

أهم المصادر والمراجع

١ — القرآن الكريم

٢ — إحياء علوم الدين — للإمام أبى حامد الغزالى — طبعة عيسى البابى الحلبى .

٣ — تربية الأولاد — للأستاذ عبد الله ناصح علوان — طبعة دار السلام للطباعة والنشر - الطبعة الثالثة .

٤ — تيسير الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول ﷺ لابن الديبع الشيبانى - نشر دار الاتحاد العربى للطباعة .

٥ — الترغيب والترهيب من الحديث الشريف — للإمام المنذرى تحقيق مصطفى محمد عمارة - نشر دار إحياء التراث العربى بيروت .

٦ — تفسير القرآن العظيم — للإمام ابن كثير — طبعة عيسى البابى الحلبى .

٧ — الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المعروف بصحيح البخارى — طبعة الشعب .

٨ — الجامع الصغير من أحاديث البشير والنذير — للإمام السيوطى الطبعة الأولى مطبعة عيسى الحلبى .

٩ — جامع بيان العلم وفضله - للإمام ابن عبد البر - نشر دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

١٠ — الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع — للحافظ الخطيب البغدادى تحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد — نشر مكتبة الفلاح بالكويت — الطبعة الأولى .

١١ — خلق المسلم - لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى - طبعة دار الكتب الإسلامية .

١٢ — الرسول والعلم — للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى — طبعة دار الصحوة للنشر .

١٣ — سنن الدارمى — للحافظ أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى بتحقيق السيد عبد الله هاشم يمانى — طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة .

١٤ — سنن أبى داود — للحافظ أبى داود سليمان بن الأشعث الأزدى السجستانى — مطبعة مصطفى الحلبى .

١٥ — سنن ابن ماجة — للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى — مطبعة عيسى الحلبى .

١٦ — السنة قبل التدوين — للدكتور محمد عجاج الخطيب — طبعة مكتبة وهبة .

١٧ — صحيح مسلم — للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى — تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى — طبعة عيسى الحلبى .

١٨ — صحيح مسلم بشرح الإمام النووى - المطبعة المصرية ومكتبتها

١٩ — فتح البارى بشرح صحيح الإمام البخارى — للحافظ ابن حجر العسقلانى - المطبعة السلفية ومكتبتها .

٢٠ — فيض القدير شرح الجامع الصغير - للإمام المناوى - طبعة المكتبة التجارية بمصر .

٢١ — كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس - للشيخ اسماعيل العجلونى - مكتبة التراث الإسلامى بحلب .

٢٢ — الكفاية فى علم الرواية — للخطيب البغدادى — طبعة دار الكتب الحديثة .

٢٣ — اللباب فى البر والصلة والآداب — للأستاذ الدكتور العجمى دمنهورى خليفة — طبعة دار الطباعة المحمدية بالأزهر .

٢٤ — مختار الصحاح — للإمام الرازى — طبعة دار ومكتبة الهلال بيروت .

٢٥ — مسند الإمام أحمد بن حنبل — المطبعة الميمنية (ستة أجزاء) نشر دار صادر بيروت .

٢٦ — مسند الإمام أحمد بن حنبل — تحقيق الشيخ أحمد شاكر — طبعة دار المعارف بمصر .

٢٧ — المعجم الصغير للطبرانى — طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٢٨ — المعجم الكبير للطبرانى — تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى — نشر الدار العربية للطباعة ببغداد .

٢٩ — المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين مع الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى مطبعة بريل فى مدينة ليدن .

٣٠ — منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين ابن حسام المطبعة الميمنية .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة بقلم الأستاذ الدكتور عميد الكلية	٥
البحث الأول : الصلات الثقافية بين العالم الإسلامى والغرب للأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق	٧ — ٣٢
البحث الثانى : إسم السورة يمثل روحها العام للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة	٣٣ — ٧٢
البحث الثالث : مظاهر التسامح والسلام فى معاملة غير المسلمين فى ضوء المفاهيم الإسلامية للأستاذ الدكتور سيد مرسى البيومى	٧٣ — ١٢٠
البحث الرابع : السببية بين الغزالى وابن رشد للأستاذ الدكتور صلاح عبد العليم إبراهيم	١٢١ — ١٥٥
البحث الخامس : طبيعة الحوار فى القرآن الكريم للدكتور شوقى إبراهيم على عبد الله	١٥٧ — ٢١١
البحث السادس : الجهاد ودوره فى تبليغ الدعوة الإسلامية للدكتور محمد حسانين البطع	٢١٣ — ٢٥٢
البحث السابع : الدعوة الإسلامية فى مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة للدكتور على على شاهين	٢٥٣ — ٣٣٠
البحث الثامن : منهج الرسول ﷺ فى التعليم للدكتور عاطف أحمد أمان	٣٣١ — ٣٨٢
فهرس	٣٨٣